﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤﴾ [يونس: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإحياءُ والإماتَةُ مِنْ شَأْنِ الله وحْدَهُ

الآيةُ الكريمَةُ احْتِجاجٌ آخَرُ على إثباتِ التَّوْحيدِ وبيانِ الدَّلائِلِ على فسادِ عقيدتِهم ومذْهَبِهم: "لَمَّا بَيَّنَ فضائِحَ عبَدَةِ الأوثانِ، أَتْبَعَها بذِكْرِ الدَّلائِلِ على فسادِ مَذْهَبِهم بما يوَبِّخُهم، ويَحُجُّهم بما لا يُمكِنُ إلّا الاعْترافُ بهِ مِن حالِ رِزْقِهم وحَواسِّهم، وإظْهارِ القُدْرَةِ الباهِرَةِ في المَوْتِ والحَياةِ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شُرَكَآئِكُم﴾: (شرك): يَدُلُّ أصْلُ المادَّة على المُقارَبَة[2]. والشُّركاءُ: جمعُ شَريكٍ وأصْلُهُ الشَّرِكَةُ. والمُشارَكةُ: خَلْطُ المِلْكَيْن. وقيلَ: هو أنْ يَشْتركَ اثْنانِ فأكْثر في شيْءٍ عيْنًا كانَ ذلك الشَّيْءُ أو مَعْنًى، كمُشارَكةِ الإنْسانِ والفَرَسِ في الحَيَوانيَّةِ، ومُشارَكةِ فرَسٍ وفَرَسٍ في بَعضِ الصِّفاتِ. والشِّرْكُ الأكْبرُ أنْ يُجْعَلَ للّه فيه نِدٌّ وشَريكٌ[3]. والمُرادُ بالشُّركاءِ هُنا: الأوثانُ والأنْدادُ.

2) ﴿يُعِيدُهُۥۚ﴾: العَوْدُ: الرُّجوعُ إلى الشَّيْءِ بعدَ الانْصرافِ عنْهُ سَواءٌ كانَ انْصرافًا بالذّاتِ، أو بالقَولِ والعَزيمَةِ[4]. نَحْو قوله تَعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: 28] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الرّوم: 27].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/54.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شرك).
(3) السَّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (شرك).
(4) الرّاغبُ، المفردات: (عود).

3) ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: يَدورُ أصْلُ المادَّةِ حَوْلَ الصَّرْفِ والقَلْبِ[1]، والأفّاكُ: الَّذي يَأْفِكُ النّاسَ أي يَصُدُّهُم عنِ الحَقِّ بباطِلِهِ. يُقال: أُفِكَ الرَّجلُ عنِ الخَيْرِ؛ أيْ: قُلِبَ عنْهُ وصُرِفَ. والمُؤْتَفِكاتُ: مَدائِنُ لوطٍ عليه السلام، سُمّيَتْ بذَلِكَ لانْقِلابِها بالخَسْفِ. قال تَعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ [النَّجم: 53]. والمعنى المُرادُ في الآيَةِ: فكَيْفَ تُصْرَفونَ عنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ؟

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ بأنْ يَقولَ للمُشْرِكين: هلْ مِن أصْنامِكم ومَعْبوداتِكُم وأنْدادِكم مِن دونِ اللهِ تَعالى مَن يُنْشِئُ الخَلْقَ على غَيرِ مِثالٍ سابِقٍ، ثُمَّ يُعيدُهُ بَعد مَوتِه كَهَيْئَتِه الأولى؟ ويَأْمُرُ رَسولَهُ ﷺ بأنْ يُخْبِرَهُم بأنَّ اللهَ تَعالى وحْدَه هوَ الَّذي يُنْشِئُ الخَلْقَ، ثمَّ يُفْنيه، ثمَّ يَبْعثُهُ.

أفادَ الاسْتِفْهامُ الإنْكاريُّ تَفَرُّدَ اللهِ تَعالى بالإحْياءِ والإماتَةِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مَوْقِعُ الجُملَةِ مِمّا قَبْلَها ودلالَتُه:

وَقَعتْ جُملةُ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ اسْتِئْنافًا نَحْويًّا جَديدًا؛ لتَقْريرِ المُشْرِكينَ بالأُلوهيَّةِ، ونَسْفِ عقيدَتِهمُ الباطِلَةِ في آلِهَتِهمُ المَزْعومَةِ مِنَ الأوثانِ على طَريقَةِ التَّكْريرِ لقوله قَبْلَهُ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 31]. ولَم تُعْطَفْ على ما قَبْلَها، لكَمالِ الانْقِطاعِ إيذانًا باسْتِقْلالِها في إثْباتِ المَطْلوبِ[2].

الفَصْلُ للإيذانِ باسْتِقْلالِ الجُمْلَةِ في إثْباتِ المَطْلوبِ

سِرُّ التَّعْبيرِ بفِعْلِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾:

﴿قُلْ﴾ هذا القَوْلُ "إمّا على طَريقِ التَّلْقينِ للمُشْرِكين وتَوجيهِهِم كَيْف يُجيبونَ، وإرْشادِهِم إلى ما يَقولونَ، وإمّا لكَوْنِ هذا المعنى قد

إذا بَلَغَ المعنى الغايَةَ في الوضوحِ فلا حاجَةَ إلى إقْرارِ الخَصْمِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (أفك).
(2) الآلوسِّي، روح المعاني: 11/113.

بَلَغَ في الوُضوحِ إلى غايَةٍ لا يُحْتاجُ مَعَها إلى إقْرارِ الخَصْمِ ومَعْرِفَةِ جَوابِه، وإمّا لكَوْنِ المُشْرِكينَ لا يَنْطِقونَ بما هوَ الصَّوابُ في هذا الجَوابِ، فِرارًا مِنهُم عنْ أنْ تَلْزَمَهُمُ الحُجَّةُ، أو أنْ يُسَجَّلَ عليْهِم بالعِنادِ والمُكابَرَةِ إنْ حادوا عنِ الحَقِّ[1]، ويَأْتي فِعْلُ الأمرِ هذا في القُرْآنِ الكَريمِ في قَضايا تَحْتاجُ إلى عِنايَةِ النَّبيِّ ﷺ ومُتابَعَتِه.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالِاسْتِفْهامِ المَجازيِّ بـ﴿هَلْ﴾:

كَشْفُ قَبيحِ ما انْطَوَتْ عليْهِ عقائِدُ المُشْرِكينَ مِنْ عِبادَةِ ما لا يَصِحُّ مِنْهُ الخَلْقُ والإعادَةُ

الاسْتِفْهامُ مَجازيٌّ للإقْرارِ والتَّبْكيتِ، وقد أوثَرَتْ أداةُ الاسْتِفْهامِ ﴿هَلْ﴾ للإيذانِ باسْتِقْصاءِ التَّحْقيقِ مَع المُشْرِكين لدَحْضِ حُجَجِهِم، ونَسْفِ مَزاعِمِهم في الأُلوهيَّةِ في سُرْعةٍ خاطِفَةٍ وحَسْمٍ، السُّرْعَةُ الفَوْريَّةُ المُسْتَفادَةُ مِنَ الأمرِ بـ﴿قُلْ﴾، والحَسْمُ المُسْتَفادُ مِنْ أداةِ الاسْتِفْهامِ ﴿هَلْ﴾[2]، فالاسْتِفْهامُ إنْكاريٌّ تَوْبيخيٌّ لَهُم على اتِّخاذِهِمُ الشُّرَكاءَ.

دلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ: ﴿مِن﴾:

تَوْجيهُ فِكْرِ المُخاطَبينَ؛ لِيَخْتَبِروا مَعْبوداتِهِم فُرادَى وجَمعًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم فسادُ مُعْتَقَدِهِم

أُثْبِتَ حَرْفُ الجَرِّ ﴿مِن﴾ في قَوْلِه: ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾؛ للتَّعْميمِ ليَشْمَلَ العَجْزُ كُلَّ شُرَكائِهِم فردًا فرْدًا حَتّى يَشْمَلَ جَميعَ الشُّرَكاءِ ويَسْتَقْصيَهُم، وفي هذا إيحاءٌ للمُخاطَبين مِنَ المُشْرِكينَ بتَوْجيهِ فِكْرِهِم؛ ليَخْتَبِروا مَعْبوداتِهِم فُرادى وجَمعًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم فسادُ مُعتَقَدِهِم، فتَلْزَمَهُم الحُجَّةُ أو يَهْتَدوا[3]، ويُمكِنُ أنْ تَكونَ ﴿مِن﴾ بَيانيَّةً لبَيانِ عجْزِهِم وعَجْزِ كلِّ مَعْبوداتِهِم عن نَفْعِهِم.

سِرُّ إضافَةِ الشُّرَكاءِ إلى ضَميرِ الخِطابِ:

زيادَةُ التَّبْكيتِ والتَّقْريعِ

المُرادُ بالشُّرَكاءِ في قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾: الأصْنامُ. ووُصِفوا بالشُّرَكاءِ؛ لاعْتِقادِ المُخاطَبينَ ذَلِكَ؛ لذا أُضيفَ إلى

(1) الشّوكانيُّ، فتح القدير: 2/623.
(2) المطعنيّ، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/51.
(3) المطعنيّ، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/51.

ضَميرِهِم؛ أيْ: أنْتُم والَّذينَ زَعَمتُم أنَّهُم شُرَكاءُ. فإضافَةُ (شُرَكاء) إلى ضَميرِ المُخاطَبينَ اسْتِهزاءٌ بعُقولِ المُشْرِكينَ وتَهَكُّمٌ بَهِم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ ﴿مَّن﴾:

مُجاراةُ الخصْمِ بِمُعامَلَةِ أصْنامِهِم مُعامَلَةَ العُقَلاءِ

في الجُملةِ إبْطالٌ لدَعْوى المُخاطَبينَ فيما أشْرَكوا باللّه غَيْرَه، وعَبَدوا مِنَ الأصْنامِ والأنْدادِ. والتَّعْبيرُ بالاسْمِ المَوْصولِ للعاقِلِ في قوله: ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ دونَ (ما) جَرْيٌ وراءَ اعْتِقادِ المُشْرِكينَ في أصْنامِهِم بأنَّها تَنْفعُ وتَضُرُّ وتُدْرِكُ، وفي هذا تَبْكيتٌ لَهُم بإظْهارِ عجْزِها.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَبْدَؤُاْ﴾:

تَجَدُّدُ الخَلْقِ وحُدوثُهُ إلى قيامِ السّاعَةِ، واسْتِمرارُ البَدْءِ والإعادَةِ

عُبِّرَ بالفِعْلِ المُضارِعِ في قَولِه: ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾؛ لتَجَدُّدِ الخَلْقِ وحُدوثِهِ إلى قيامِ السّاعَةِ. و"لإفادَةِ اسْتِمرارِ البَدْءِ والإعادَةِ، كالزَّرْعِ في خَلْقِهِ وتَكْوينِهِ ثُمّ يَصيرُ حُطامًا، ثُمّ يُعادُ مَرَّةً أُخْرى"[1].

عِلَّةُ إيثارِ كَلِمَةِ الخَلْقِ في: ﴿ٱلْخَلْقَ﴾:

كَلِمَةُ (الخَلْق) أدَلُّ على كَمالِ قُدْرَةِ اللّه تَعالى، وأقْوى في مَقامِ إثْباتِ عجْزِ آلِهةِ المُشْرِكين

أوثَرَ التَّعْبيرُ بـ﴿ٱلْخَلْقَ﴾ في قَوله: ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ في هذا المَقامِ على نَظائِرِها - كالإنْشاءِ والجَعْلِ والصُّنْعِ والتَّدْبيرِ - لأنَّها أدَلُّ على كَمالِ قُدرَةِ اللّه تَعالى، وأقْوى في مَقامِ إثباتِ عجْزِ آلِهةِ المُشْرِكين المَزعومَةِ مِنَ الأنْدادِ والأصْنام، لأنَّ الخَلْقَ في لُغَةِ العَرَبِ على وجْهَيْن: التَّقْديرِ، والإنشاءِ على مِثالٍ أبْدَعَه. وكُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللّه فهوَ مُبْتَدِئُهُ على غَيرِ مِثالٍ سابِقٍ، وهوَ الَّذي أوجَدَ الأشْياءَ جَميعَها بعدَ أنْ لَم تَكُنْ مَوْجودَةً.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالحَرْفِ ﴿ثُمَّ﴾:

مَراحِلُ حَياةِ الإنْسانِ حَتّى وفاتِه يُناسِبُها التَّعْبيرُ بحَرْفِ التَّراخي

عُبِّر بحَرفِ التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾، إمّا للتَّراخي الزَّمَنيِّ لوجودِ فاصِلٍ زَمنيٍّ بَيْنَ الخَلْقِ والإعادَةِ من خِلالِ مَراحِلِ تَكْوينِ الإنسانِ في بَطْنِ أُمِّه، وتَقَلُّبِه في مَراحِلِ عُمرِهِ إلى وفاتِهِ ثُمَّ إلى بَرْزَخِه، حَتّى إعادَتِه يومَ النُّشورِ، وإمّا للتَّراخي الرُّتْبيِّ لأنَّ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3564.

الإعادَةَ مُتَراخيَةٌ عن بَدءِ الخَلْقِ رُتْبةً؛ لأنَّ القياسَ العَقْليَّ والنَّصَّ النَّقْليَّ يَقْتَضيانِ أنَّ الإعادَةَ أهْوَنُ مِنَ البَدْءِ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالمفْعولِ بهِ ضَميرًا في: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾:

الضَّميرُ يوجِزُ العِبارَةَ، ويُصَفّيها

في التَّعبيرِ بالمَفْعولِ بهِ ضَميرًا في قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ دونَ أنْ يُقال: مَن يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُ الخَلْقَ إيجازٌ للعِبارَةِ، وتَصْفيَةٌ لَها بعدَمِ تَكْرارِ لَفْظِ المَفْعولِ بهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ؛ حَيْثُ أُعيدَتْ كَلِمةُ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾ مرَّةً أُخْرى في الجَوابِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾، فبَدَتِ الجُملةُ بهذا العُدولِ إلى الضَّميرِ رَشيقةً، تَسْتَعْذِبُ الآذانُ سَماعَها.

سِرُّ التَّلازُمِ بَيْنَ البَدْءِ والإعادَةِ مع إنْكارِهِمُ الإعادةَ:

عِنادُ المُشْرِكينَ، وإصْرارُهُم على اللَّجاجِ

يَتَبادَرُ في قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ سُؤالٌ مَفادُهُ: كَيْفَ يُخاطَبُ المُشْرِكون بما يُنْكِرونَهُ وهوَ الإعادَةُ؛ أيْ: البَعْث والنُّشور، وهُم غير مُقِرّين إلّا بالخَلْقِ؟ وقد أجابَ الزَّمَخْشريُّ عن هذا بقَولِه: "قد وُضِعتْ إعادةُ الخَلْقِ لظُهورِ بُرْهانِها مَوضعَ ما إنْ دَفَعَهُ دافِعٌ كانَ مُكابِرًا رادًّا للظّاهرِ البَيِّنِ الَّذي لا مَدخَلَ للشُّبْهَة فيه، دلالَةً على أنَّهُم في إنْكارِهم لَها مُنْكِرونَ أمرًا مُسَلَّمًا مُعْتَرَفًا بصِحَّته عندَ العُقلاءِ"[1].

دلالَةُ الجَوابِ بـ﴿قُلِ﴾:

القَوْلُ المَأْمورُ بهِ الرَّسولُ ﷺ قَطْعٌ للَجاجِ المُشْرِكينَ

أمَرَ اللّه تعالى رَسولَه ﷺ أنْ يُجيبَ عنِ المُشْرِكينَ في هذا المَوضعِ، قَطْعًا للَجاجِهم وعِنادِهم وجِدالِهم، وإصْرارِهم على المُكابرةِ عن قَولِ الحَقِّ فأجابَ عنهُم، وإمّا أنْ يكونَ هذا على طَريقِ التَّلْقينِ للمُخاطَبين وإرْشادِهم إلى الجَوابِ الصَّحيحِ، والقَولِ السَّديدِ، وإمّا لكَوْنِ هذا الجَوابِ قد بَلَغَ في الوُضوحِ إلى غايَةٍ لا يُحْتاجُ مَعَها إلى إقْرارِ الخَصْمِ ومَعْرِفَةِ جَوابِهِ[2].

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 3/135، وشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 4/568.
(2) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 2/623.

سِرُّ إعادَةِ غَيْرِ المَسْؤولِ عنْهُ ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ في الجَوابِ المُلَقَّنِ:

الإيـذانُ بتَعْيُّنِ الجَوابِ وتَحَقُّقِهِ

سِرُّ إعادَةِ غَيرِ المَسْؤولِ عنهُ في الجَوابِ في قوله تَعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ هوَ أنَّ القَوْلَ المَأْمورَ بهِ الرَّسولُ ﷺ غَيْرُ ما أُريدَ مِنَ المُشْرِكين مِنَ الجَوابِ - وإنْ كانَ مُسْتَلْزِمًا لَه -، إذْ لَيْسَ المَسْؤول عنْه صراحةً ما نَصُّه: ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، كَما في قوله تَعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرَّعد: 16] ليُطابِقَ القَوْلُ المَأْمورُ بهِ عيْنَ الجَوابِ الَّذي أُريدَ اسْتِنْطاقُهم بهِ، ويَكون الرَّسولُ ﷺ نائبًا عنْهم في ذَلك الجَوابِ، بَلْ إنَّما المُرادُ هو وُجودُ مَن يَفْعَلُ البَدْءَ والإعادَةَ مِن شُرَكائِهم هُم، فالجَوابُ المَطْلوبُ مِنْهُم: (لا)، لا غَيْر؛ لذا أُمِرَ ﷺ بأنْ يُضَمِّنَهُ مَقالتَهُ إيذانًا بتَعَيُّنِ الجَوابِ وتَحَقُّقِهِ، وإشْعارًا بأنَّهُم لا يَجْتَرِئونَ على التَّصْريحِ بهِ مَخافَةَ التَّبْكيتِ وإلْقامِ الحَجَرِ[1].

سِرُّ المَجيءِ بالجَوابِ جُملَةً اسْميَّةً:

أُعيدَتْ كَلِمَةُ الخَلْقِ صَراحَةً في الجَوابِ بَعْدَ ذِكْرِها في السُّؤالِ؛ لأنَّها مَحَطُّ التَّحَدّي

جُملَةُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ جَوابٌ لقوله: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، وإنَّما أتى بالجَوابِ جُملَةً اسْميَّةً بتَمامِها، مُصَرَّحًا بجُزْأيها، مُعادًا فيها الخَبَرُ، مُطابِقًا لخَبَرِ اسْمِ الاسْتِفْهامِ؛ للمُبالَغَةِ في التَّأْكيدِ، والتَّثْبيتِ. ولما كانَ الاسْتِفْهامُ قَبْلَ هذا لا مَناصَ للمُشْرِكين عنِ الاعْترافِ بهِ، جاءَ جُملةً مَحْذوفًا مِنْها أحَدُ جُزْأيها في قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: 31]، ولَم يَحْتَجْ إلى التَّأْكيدِ بتَصْريحِ جُزْأيها كَما في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ[2].

بَلاغَةُ الإدْماجِ في الحِجاجِ بإعادَةِ كَلِمَةِ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾:

مَناطُ التَّحَدّي إعادَةُ الخَلْقِ

أُعيدَتْ كَلِمةُ الخَلْقِ صَراحةً مرَّةً أُخْرى في الجَوابِ بَعْد ذِكْرِها في السُّؤالِ؛ لأنَّها مَحطُّ التَّحدّي، ولِما في الإظْهارِ مِن قوَّةِ الإشارَةِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/661، والآلوسيُّ، روح المعاني: 11/113.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 10/323.

على المعنى المُرادِ[1]. وأضافَ ابنُ عاشور أنَّ ذِكْرَ إعادَةِ الخَلْقِ في المَوْضعَيْنِ مَع أنَّهُم لا يَعْتَرِفون بها نَوعٌ مِنَ الإدْماجِ في الحِجاجِ[2].

دلالَةُ الفاءِ في: ﴿فَأَنَّىٰ﴾:

إنْكارُ جَوازِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى على الإعـادَةِ جُنوحٌ إلى الكُفْرِ

تَدُلُّ الفاءُ في قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ على تَرْتيبِ ما بَعْدَها على ما قَبْلَها، أي: السَّبَبيَّة، والتَّقديرُ: بسَبب عجْزِ آلهَتِكم، وعظيمِ قُدْرةِ الله تعالى فأيُّ اعْتقادٍ غَيْرِ الإقرارِ بوَحْدانيَّته سبحانَه ترْجَعونَ إليْه، وتُقْلبونَ؟ أو بَعْدَ أنْ عايَنْتُم مِن دلائلِ التَّوحيدِ القاهرةِ فأيُّ مَكانٍ ترْتَدّون إليه؟[3].

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالاسْتِفْهامِ المَجازيِّ في ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾:

أفادَ الاسْتِفْهامُ الإنْكاريُّ تَوْبيخَهُم والنَّعْيَ عليْهِم

الاسْتِفْهامُ في قَولِه تَعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ للإنكارِ، و(أنَّى) بمعنى: كيفَ، والمعْنى: كَيْفَ تُقْلَبونَ مِنَ الحَقِّ إلى الباطِلِ؟ وأفَكَهُ: قَلَبَهُ، والقَلْبُ مَجازيٌّ، وهوَ إفْسادُ الرَّأي. شُبِّهَتْ بهِ الحَقائِقُ الَّتي يُحَوَّلُ فيها التَّفْكيرُ. واسْتِعارَةُ المَكانِ إلَيْها مِثْلُ إطْلاقِ المَوْضوعِ علَيْها والمَجالِ أيضًا"[4].

وفي خِتامِ الآيةِ الكَريمَةِ بالاسْتِفْهامِ هَزٌّ آخَرُ لمَشاعِرِ المُخاطَبين، وإيقاظٌ لعُقولِهم، وتَبْصيرِهم بطَريقِ الهدايةِ مِن خِلالِ إعْمالِ الفِكْرِ في القَضيَّةِ المَطْروحَةِ، لإقامَةِ الحُجَّةِ علَيْهِم.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ المَبْنيِّ للمَفْعولِ: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾:

تَخَبُّطُ المُشْرِكينَ مُتَجَدِّدٌ مُسْتَمِرٌّ

وسِرُّ التَّعبيرِ بالمُضارعِ ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ هوَ الدَّلالةُ على اسْتِمرارِ تَخَبُّطِ المُشْرِكينَ، وحَيْرتِهم، وضَلالِهم، وإصْرارِهم على ذلكَ بعِنادِهم وتَكَبُّرِهم، وبُنِيَ الفعلُ ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ للمَفْعولِ؛ للإشارةِ إلى شَناعَةِ الفعلِ وغَرابتِه حتّى لا يكادُ أن يكون له فاعلٌ يُنْسَب إليه، فهيَ دَعوَةٌ لانْشِغالِهم بالفعلِ عنِ الفاعِلِ.

(1) المطعنيُّ، التَّفسير البلاغيُّ للاستفهام: 2/52.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/161.
(3) المطعنيُّ، التَّفسير البلاغيُّ للاستفهام: 2/52.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/161.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

﴿تُؤْفَكُونَ﴾، و﴿تُصْرَفُونَ﴾:

الإفْـكُ أعَـمُّ والصَّرْفُ أخَصُّ

تَدورُ مادَّةُ الإفْكِ حَوْلَ الصَّرْفِ والقَلْبِ. والإفْكُ: كُلُّ مَصْروفٍ عن وجْهِه الَّذي يَلزَمُ أنْ يكونَ عليه، ومِنْهُ قيلَ للرِّياحِ العادِلَةِ عنِ المَهابِّ: مؤتَفِكَة كَما في قَولِه تَعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ [الحاقَّة: 9]، وقَولِه تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التّوبة: 30] أي: يُصْرَفونَ عنِ الحَقِّ في الاعْتِقادِ إلى الباطِلِ.

أمّا مادَّةُ الصَّرْفِ فتَدورُ حَوْلَ رَدِّ الشَّيْءِ مِن حالَةٍ إلى حالَةٍ، أو إبْدالِه بغَيرِه، يُقال: صَرَفْتُه فانْصَرفَ. ويُقال: انْصَرَفَ إلى الشَّيْءِ، بمعنى: أقْبَلَ إلَيه مُنْصَرِفًا عنْ غَيْرِه. ومِنْهُ: صَرَفْتُ القَوْمَ صَرْفًا وانْصَرَفوا، إذا رَجَعْتَهُم فرَجَعوا. والصَّريفُ: اللَّبَنُ ساعَةَ يُحْلَبُ ويُنْصَرَفُ بِهِ. والصَّرْفُ في القُرْآنِ: التَّوْبَةُ؛ لأنَّهُ يُرْجَعُ بِهِ عنْ رُتْبَةِ المُذْنِبينَ[1] . وقد وردَتْ مادَّةُ (أفك) في القُرْآنِ الكَريمِ ثَلاثينَ مَرَّةً. ووردَ لَفْظُ (صَرَفَ) في القُرْآنِ في ثَلاثينَ مَوْضِعًا، والخُلاصَةُ: يَشْتَرِكُ الجَذْران: (أفك) (صرف) في الدَّلالَةِ اللُّغَويَّةِ على معنى التَّحويلِ والرَّدِ والتَّغْييرِ، ويَخْتَصُّ (أفك) بأنَّ وسيلَتَه هي الكَذِبُ؛ لذا فهوَ أخَصُّ مِنَ الصَّرفِ[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (أفك) و(صرف).
(2) داود، معجم الفروق الدَّلاليَّة: ص 64.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»